فلسفة اللغة

الدكتورة فوزية دندوقة

المحاضرة 5: فلسفة اللغة عند العرب – الفارابي أنموذجا

تحدثنا في المحاضرة الماضية عن فلسفة اللغة عند العرب الأوائل، دون أن نخصص حديثنا عن عالم معين، فأشرنا إليها عند الباقلاني، وعند الغزالي، وعند الفارابي، لتكون محاضرة اليوم كما يبين عنوانها خاصة بفلسفة اللغة عند الفارابي، ومحاورها كالآتي

- نبذة موجزة عن حياة الرجل
- أصل فلسفته اللغوية.
- مفهوم اللغة عند الفارابي
- أصل اللغة تواضع واتفاق
- علاقة اللفظ بالمعنى

أبو نصر محمد بن محمد بن أوزلغ بن طرخان الفارابي، هو فيلسوف أتقن العلوم الحكمية، وبرع في العلوم الرياضية، لقوة ذكائه، وهو ، ولد عام 260 هـ 874/م في فاراب، في قزخستا، توفي عام 339 هـ 950/م ، كان متجنبا عن الدنيا، مقتنعا منها بما يقوم بأوده، له قوة في صناعة الطب، وعلم بالأمور الكلية منها، ولم يباشر أعمالها، ولا حاول جزئياتها، ونظرا لاهتمامه بالمنطق وشرحه مؤلفات أرسطو المنطقية .سمي بالمعلم الثاني نسبة للمعلم الأول أرسطو. قدم إلى بغداد وهو في سن الأربعين، تنقل بين مصر وسوريا وحلب، له عدة مصنفات، أشهرها كتاب إحصاء العلوم.

أما فلسفة اللغة عند الفارابي فمستمدة من محاورة كراتيليّوس لأفلاطون، ولا سيما المشتبهات بين الأفكار، يل إن الفارابي هو الواسطة بين علماء العرب كابن جني مثلا وبين وبين ماجاء به أفلاطون في محاوراته، عن طريق الترجمة، وخاصة فيما تعلق بنظرية المحاكاة[1].

[1]– ينظر: علي جبار عناد، دلالة المعنى في الفلسفة الاسلامية، ص 7

يعرف الفارابي علم اللسان بأنه علم دراسة اللغة[2]، وقد رفض أن يفهم اللغة من حيث هي ركام من المفردات، فهي في نظره شبكة من العلاقات الداخلية.

ويرى الفارابي أن اللغة تواضع واصطلاح، حيث يقول: "كلما حدث في ضمير إنسان منهم شيء احتاج أن يفهمه غيره ممن يجاوره، اخترع تصويتا، فدل صاحبه عليه، وسمعه منه، فيحفظ كل واحد منهما ذلك، وجعلاه تصويتا على الشيء"[3]، وليثبت الفارابي معنى التواضع والاتفاق في اللغة يقول: "فهكذا تحدث أولا حروف تلك الأمة، وألفاظها الكائنة في تلك الحروف، ويكون ذلك أولا ممن اتفق منهم، فيتفق أن يستعمل الواحد منهم تصويتا، أو لفظة في الدلالة على شيء ما عندما يخاطب غيره، فيحفظ السامع ذلك، فيستعمل السامع ذلك بعينه عندما يخاطب المنشئ الأول لتلك اللفظة، ويكون السامع قد احتذى بذلك، فيقع به، فيكونان قد اصطلحا وتواطآ على تلك اللفظة، فيخاطبان بها غيرهما، إلى أن تشيع عند الجماعة"[4].

إن العلاقة بين اللفظ والمعنى من المواضيع القديمة قدم البحث في اللغة، فقد تناولها العلماءُ منذ زمن بعيد، فلا نكاد نعثر في مؤلفات الأوائل عن عالم من العلماءِ القدامى الذين ناقشوا قضايا اللغة قد أغفل قضية اللفظ والمعنى.

ويعد الفارابي من بين هؤلاء الذين أفاضوا في هذه مثل هذه العلاقة، فهي بالنسبة له توافقية كما جاء في كتابه الحروف، حيث يقول: "الناس وهم يكونون في بلد ومسكن محدود، ويفطرون على صور وخلق في أبدانهم محدودة، وتكون أبدانهم على كيفية وأمزجة محدودة، وتكون أنفسهم معدة ومسددة نحو معارف وتصورات وتخيلات بمقادير محدودة في الكمية والكيفية فتكون هذه أسهل عليهم من غيرها، وان الإنسان إذا خلا من أول ما يفطر ينهض ويتحرك نحو الشيء الذي تكون إليه حركته أسهل عليه بالفطرة وعلى النوع الذي تكون به حركته أسهل عليه، فتنهض نفسه إلى أن يعلم أو يفكر أو يتصور أو يتخيل أو يتعقل وأول ما يفعله من ذلك يفعل بقوة فيه بالفطرة، وبملكة طبيعية، لا باعتياد له سابق، قبل ذلك ولا

---

[2]– الفارابي، كتاب الحروف، ص120

[3]– الفارابي، الحروف، ص 138.

[4]– م ن/ ص137

بصناعة، وإذا كرر فعل شيء من نوع واحد مرارا حدثت له ملكة اعتيادية إما خلقية أو صناعية"[5].

ورغم أن الفارابي يؤكد أن اللفظ هو الوحيد القادر على التعبير عما بداخل الإنسان، إلا أنه يشير إلى أن علاقة الأسماء بمسمياتها عند الفارابي تربط بين أبعاد ثلاثة؛ هي اللفظة (كوعاء نظري)، والمعنى (الذي تثيره هذه اللفظة في الذهن)، والجانب الدلالي للفظة في العالم الخارجي، ولذلك كان البحث اللغوي ضرورة أولى لشرح المقولات وتحليلها، وهو يجاري أرسطو في تحديد المقولات باعتبارها أطراً عامة يمكن الاعتماد عليها في تحديد ماهية الأشياء، والأحداث[6].

وقد ميز الفارابي بين المعنى الداخلي للفظ والمعنى الخارجي، فتركيب الألفاظ عنده شبيه بتركيب المعاني[7]، وتكلم الفارابي عن علاقة المعقولات بالألفاظ فأشار إلى أن الألفاظ تدل على المعقولات، والمعقولات تدل على الألفاظ، وهذا يعني وجود علاقة وثيقة بين اللفظ ومحتواه المعقول، أي بين الفكر واللغة[8]، كما يعني وجود علاقة بين اللغة والمنطق، ويعد الفارابي من الذين أكدوا هذه العلاقة بل إنه قد اعتبر اللغة مقدمة ضرورية لعلم المنطق ويكفي أن نطلع على إحصاء العلوم عنده لنعرف أن علم اللسان في نظره هو أولى العلوم ، وكل العوم محتاجة إليه.

في الأخير لا بد ان نؤكد أن حياة الفارابي قد كانت زاخرة بالعلم بشتى مجالاته، كالفلسفة والآداب واللغات، والرياضيات، ما جعل فلسفته اللغوية أكبر من أن تحتويها محاضرة كهذه.

---

[5]– م ن/ ص 135.

[6]– زينب عفيفي، فلسفة اللغة عند الفارابي، ص

[7]– علي جبار عناد، دلالة المعنى في الفلسفة الإسلامية، ص 7

[8]– خالد بيومين فلسفة اللغة كما رأها الفارابي، ص